## الإمام أحمد بن حنبل ومنهجه في النظر الفقهي

ينتسب المذهب الحنبلي إلى الإمام **أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني** (164–241هـ)، أحد أئمة الإسلام الكبار، والمجدد الفقهي الذي جمع بين إمامة الحديث والفقه، واشتهر بالورع والزهد والثبات في محنة القول بخلق القرآن. وقد أسّس الإمام أحمد مدرسة فقهية حديثية متميزة، تقوم على نصوص الوحي وآثار الصحابة، وتعلي من شأن الاتباع وتتحفظ من الرأي المجرد.

### أولًا: النسب والنشأة

ولد الإمام أحمد سنة 164هـ ببغداد، ونشأ يتيمًا في كنف والدته، التي ربّته على الصلاح وحب العلم. بدأ بطلب الحديث في سن مبكرة، وسافر إلى **الكوفة**، **والبصرة**، **والحجاز**، **واليمن**، **والشام**، باحثًا عن الرواية المتقنة، حتى صار من **أوثق رجال السنة رواية ودراية**.

قال عنه الإمام الشافعي: "خرجت من بغداد وما خلّفت بها أحدًا أفقه، ولا أورع، ولا أعلم من أحمد بن حنبل" (الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ج11، ص. 316.(

### ثانيًا: شيوخه وتلامذته

**من شيوخه البارزين:**

- **هشيم بن بشير**
- **وكيع بن الجراح**
- **سفيان بن عيينة**
- **عبد الرزاق الصنعاني**
- **الإمام الشافعي** :وقد تأثر به منهجيًا، خاصة في ترتيب الأدلة.

**ومن تلامذته:**

- **أبو داود السجستاني** صاحب *السنن*.
- **أبو بكر الخلال** :جامع فتاوى الإمام.
- **ابنه عبد الله بن أحمد** :راوي *المسند*.
- **الخرقي** :مؤلف أول مختصر في فقه المذهب.

### ثالثًا: صفاته وثباته

اشتهر الإمام أحمد بالورع، والزهد، والتواضع، وعدم الخوض في الجدل. وقد بلغت **منزلته في الأمة** ذروتها حين ثبت في **محنة خلق القرآن**، التي بدأت في عهد المأمون، واستمرت في عهد المعتصم والواثق، حيث رفض القول بأن "القرآن مخلوق"، رغم التعذيب والسجن.

قال الذهبي: "كان أحمد يومئذ إمامًا في العلم، زعيمًا في السنة، علمًا في الورع، آية في الثبات" (الذهبي، *السير*، ج11، ص. 318)

**رابعًا: مؤلفاته**

أهم مصنفاته:

1. **المسند** :من أكبر دواوين السنة، يضم قرابة 30 ألف حديث، مرتبة على أسماء الصحابة.
2. **الرد على الزنادقة** :في العقيدة، وبيان انحرافاتهم.
3. **الزهد** :يجمع أخبار الزاهدين وأقوالهم.
4. **الفتاوى والمسائل** :رواها تلامذته، ومنها تكوّنت أصول المذهب.

**خامسًا: منهجه في النظر الفقهي**

يمتاز منهج الإمام أحمد بالتسلسل التالي في الاستدلال:

1. **القرآن الكريم** :هو الأصل الأول، ولا يُعدل عنه.
2. **السنة النبوية** :ويُقدّم الحديث الصحيح، ثم الحسن، ويعمل بالمرسل والضعيف غير الشديد إن لم يوجد غيره، بشرط السلامة من النكارة.
3. **أقوال الصحابة** :ويُقدّم القول المشهور بينهم إن وُجد.
4. **الإجماع** :يُقبله إن ثبت، لكنه يتحرز من دعوى الإجماع كثيرًا.
5. **القياس** :يستعمله **عند الضرورة فقط**، بعد فقدان النص والإجماع، ويتحفظ من الإكثار منه.
6. **الاستحسان والمصلحة المرسلة** :يتحفظ منهما ما لم يؤيدا بدليل شرعي.

قال الإمام أحمد: "إذا جاء الأثر، فاضربوا برأيي الحائط."

ومن خصائصه :**تقديم الحديث الضعيف على الرأي** في المسائل التي لا نص فيها، بشرط ألا يكون موضوعًا، ولا شديد الضعف.

**سادسًا: مجالسه وتكوين مذهبه**

كانت مجالس الإمام أحمد **قائمة على الرواية والتحقيق**، بعيدة عن الجدل والافتراضات. وكان لا يفتي إلا بما صحّ عنده من الحديث أو أثر الصحابي. وقد نقل تلامذته فتاواه وأجوبته، فكوّنوا منها **المذهب الحنبلي**، الذي بدأ متفرقًا، ثم جُمِعَ على يد **أبي بكر الخلال** (ت 311هـ) في كتابه الكبير *الجامع*.

ومن أهم خصائص مدرسته:

- **الالتزام الظاهر بالنصوص**.
- **الاحتياط في الفتوى**.
- **الزهد في الرأي**.
- **التحقيق في روايات الحديث**.

**سابعًا: وفاته**

توفي الإمام أحمد ببغداد سنة 241هـ، بعد حياة حافلة بالصبر والعلم والدعوة. وقد شيّع جنازته **جمع غفير قُدّر بمئات الآلاف**، حتى قيل إنها من أعظم الجنازات في تاريخ الإسلام.

**خاتمة**

الإمام أحمد بن حنبل هو **إمام أهل السنة في زمنه**، وصاحب مدرسة فقهية حديثية تقوم على الاتباع، والنقل، والتحقيق، بعيدًا عن الرأي المجرد والتكلف النظري. وقد أسّس **المذهب الحنبلي** على أساس من الانضباط النصي، والصبر العلمي، مما جعله رافدًا أصيلًا في مسيرة الفقه الإسلامي.